ISSN: 1817-6798 (Print)
Journal of Tikrit University for Humanities
available online at: www.jtuh.org/

Function of Intelligible Language and the Foundations of Effective Communication.

Badr bin Jamil Al-Sanani

College of Educational Sciences in Rustaq

Bushra Abdel Attia

University of Baghdad

* *Corresponding author: E-mail* :
+964 781 287 9096
bushra.abd@coagri.uobaghdad.edu.iq

Keywords:
Function
language,
intelligibility
pillars
effective communication

ARTICLE INFO

Article history:

Received	1 Sept 2024
Received in revised form	25 Nov 2024
Accepted	2 Dec 2024
Final Proofreading	2 Mar 2025
Available online	3 Mar 2025

E-mail t-jtuh@tu.edu.iq

©THIS IS AN OPEN ACCESS ARTICLE UNDER THE CC BY LICENSE http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/

ABSTRACT

Various languages, whether human or machine, have endeavored to eliminate ambiguity, striving to clarify their structures and mitigate uncertainty using the tools available to them. Ambiguity is a phenomenon that affects both natural and machine languages, as linguistics recognizes that the issue of moral ambiguity in language is a fundamental aspect. It is essential to any human language, representing a phenomenon that is present across all human languages, manifesting through various mechanisms unique to each language.

This research, titled "The Function of Intelligible Language and the Pillars of Effective Communication," aims to clarify the foundations that enable the speaker to achieve understanding and interaction with others. It also identifies the key linguistic elements that assist in alleviating confusion regarding language structures and minimizing it in various linguistic contexts .

© 2024 JTUH, College of Education for Human Sciences, Tikrit University

DOI: http://doi.org/10.25130/jtuh.32.3.1.2025.07

وظيفة اللغة الإفهامية، وركائز التواصل الفعَّال.

بدر بن سالم بن جميل السناني/ جامعة التقنية والعلوم التطبيقية/ كلية التربية بالرستاق

بشرى عبد عطية/ كلية علوم الهندسة الزراعية/ جامعة بغداد

الخلاصة:

سعت اللغات المختلفة (بشرية أو آلية) إلى إزالة الالتباس، ورفع الغموض من تراكيبها، ومحاولة دفعه بما تمتلك من أدوات، إلَّا أن اللبس ظاهرة تضرب بسهمها في كل اللغات الطبيعية، والآلية، حيث يقر علم اللغة أن قضية اللبس المعنوي في اللغة هي جزء لا يتجزأ من أي لغة بشرية، وهي ظاهرة موجودة في كافة لغات البشر، وتحدث بآليات مختلفة من لغة إلى أخرى.

يهدف هذا البحث الموسوم بـ(**وظيفة اللغة الإفهامية، وركائز التواصل الفعَّال**) إلى تسليط الضوء على الأسس التي يسعين بها المتكلم لتحقيق الإبلاغ، والتفاهم، والاتصال بينه وبين المستقبل، وأهم الركائز اللغوية المعينة على رفع اللبس من تراكيب اللغة، وتقليله في المواقف اللغوية. هذا وحوى البحث مبحثين رئيسين، بعدها الخاتمة، والمراجع، وعُنْوِنَت المباحث بالوظيفة الإفهامية وأمن اللبس، و المبحث الثاني: ركائز نجاح الحدث اللغوي.

الكلمات المفتاحية(**وظيفة ،اللغة ،الإفهامية، ركائز ،التواصل، الفعَّال)**

مقدمة البحث

لقد اعتنى علماؤنا القدماء بلغتهم عناية فائقة، فأولوا المعنى فائق عنايتهم، وعولوا عليه معولا كبيرا، ولم يكن انتصار علماؤنا للمعنى محض اتفاق أو مشايعة نفسية، ولكن هذا الولاء تسنده فلسفة كلامية ولغوية قوية، فبلغ من اهتمامهم بالمعنى، وتمسكهم بمبدأ الإفادة ترك الإعراب وأخذهم بالمعنى، فتجد في كثير من المنثور والمنظوم الإعراب والمعنى متجاذِبين: هذا يدعوك إلى أمر وهذا يمنعك منه. فمتى اعتورا كلاما ما أمسكت بعُرْوة المعنى وارتحت لتصحيح الإعراب، ومثل هذا الكثير، حتى قرروا أن كل ما يصلح به المعنى فهو جيد، وكل ما يفسد به المعنى فمردود.

تتألف اللغة من مجموعة من الكلمات التي يستعملها أبناء البيئة اللغوية، فهي وسيلة إخبار يوظفها شخص ما لينقل أمرا ما إلى آخر، هدفها الأول التواصل، والإفهام؛ فلما كان الكلام موضوع للإبانة عن الأغراض التي في النفوس، وإذا كان كذلك وجب أن يتخير من اللفظ ما كان أقرب إلى الدلالة على المراد، وأوضح في الإبانة عن المعنى المطلوب؛ لأنَّ الوظيفة الأساسية لأي لغة من اللغات هي الوظيفة التواصلية الذي لا يحقق الفائدة المرجوة منه إلا بالوضوح والابتعاد عن اللبس والغموض.

يهدف هذا البحث الموسوم بـ(**وظيفة اللغة الإفهامية، وركائز التواصل الفعَّال**) إلى تسليط الضوء على الأسس التي يسعين بها المتكلم لتحقيق الإبلاغ، والتفاهم، والاتصال بينه وبين المستقبل، وأهم الركائز اللغوية

المعينة على رفع اللبس من تراكيب اللغة، وتقليله في المواقف اللغوية. هذا وحوى البحث مبحثين رئيسين، بعدها الخاتمة، والمراجع، وعُنْوِنَت المباحث بالآتي:

- الوظيفة الإفهامية وأمن اللبس.
- المبحث الثاني: ركائز نجاح الحدث اللغوي.

المبحث الأول: الوظيفة الإفهامية وأمن اللبس

اللغة أصوات يعبر بها كل مستخدم لها عن غرضه، وهذه الأغراض هي المعاني أو الدلالات التي يراد نقلها من متكلم (speaker) إلى مستمع (listener)، حيث تستخدم الأصوات المنطوقة أو المكتوبة صورة لها، وهذا حد ابن جني حيث يقول:" أمَّا حدها فإنها أصوات يعبر بها كلّ قوم عن أغراضهم" (ابن جني. ٢٠٠١. ج ١ ص ٨٧)، وهذا المفهوم الذي قدمه أبو الفتح يتلاقى مع نظرة أرسطو إلى الكلام، حيث يرى أن الكلام نتاج صوتي" مصحوب بعمل الخيال من أجل أن يكون التعبير صوتا له معنى" (عبد اللطيف. ٢٠٠٦. ص ٤٧)، وهو المفهوم نفسه الذي صدر عنه أوتو يسبرسن (Otto Jespersen) الذي يرى أن" جوهر اللغة نشاط إنساني، نشاط من قبل الفرد ليجعل نفسه مفهوما من الآخرين، ونشاط من قبل الآخرين ليفهموا ما يدور في عقل الفرد"(عبد اللطيف. ٢٠٠٦. ص ص ٤٧ - ٤٨).

وهذه التعاريف تكشف لنا جانبين من جوانب أي لغة، أحدهما مادي مسموع أو مرئي، والآخر: إدراكي معنوي، وهو ما عبر عنهما أرسطو (صوتا له معنى)، وكلا الجانبين يؤثر في الآخر ويتأثر به.

كما تشرف هذه التعاريف على اجتماعية اللغة التي تتألف من مجموعة من الكلمات التي يستعملها أبناء البيئة اللغوية، فاللغة في ظاهرها أصوات تعبر عن معان، فاللغة " أداة يمكن للبشر من خلالها أن يخبر بعضهم بعضا شيئا ما " (بونتنج.٢٠٠٦. ص ٤٩)، فهي أداة إخبار يوظفها شخص ما لينقل أمرا ما إلى آخر، يقول أندري مارتني (Andre Martinet): "الوظيفة الأساسية للغة البشرية هي التواصل بين أفراد المجتمع اللغوي الواحد" (مارتني. د. ت. ص ١٤)، فالتواصل هو المحك الرئيس والهدف الذي تسعى إلى إدراكه أي لغة من اللغات، فالوظيفة الجوهرية للغة تتركز في الإبلاغ، والتفاهم، والاتصال، يقول الوعر:" إن الوظيفة الجوهرية للغة هي تبليغ المعنى" (الوعر.١٩٨٨. ص ٥٣).

وهذا القول يؤكد أن اللغة ظاهرة صوتية، وإن وظيفتها الأولى التواصل؛ لذا يقوم جوهر البحث اللغوي على دراسة العلاقة بين عنصري اللفظ والمعنى، لأن كل متكلم أو سامع يدور في فلك الألفاظ ومعانيها، ولأن كلّ معرفة لا تعدو أن تكون أفكاراً أو معاني تحملها الألفاظ، فاللغات "إنما هي ترجمان عما في الضمائر من تلك المعاني، يؤديها بعضٌ إلى بعض بالمشافهة" (ابن خلدون. ٢٠٠٠. ص ٤٤٠).

فلما كانت غاية المتكلم من السامع الفهم والإفهام، بالدرجة الأولى، تركز جهد أبي عثمان الجاحظ على شفافية الخطاب، وهي " قدرة العلامة والنص على الإشارة إلى ما سواهما" (صمود. ١٩٨١. ص ٣٠٠)، من هنا انطبعت محاولة الجاحظ بطابع نفعي واضح، يمكن أن يعدّ – بدون مبالغة – أكمل محاولة في التراث اللغوي العربي لتأسيس ما يسمى بنفعية الخطاب. فمما يلاحظ – كما يرى صمود– أنه من أبرز مقومات طريقته في تناول الخطاب اللغوي، من زاوية كونه عملية تواصل، وهذه العملية تستوجب حدًّا أدنى من الأطراف لا يقلّ عن ثلاثة: المتكلم، والسامع، والكلام، أمَّا قناتها فهي المشافهة.

تتعدد وظائف اللغة وتبقى الوظيفة الإفهامية هي الوظيفة المقدمة على غيرها من الوظائف البقية مقام الأصل؛ إذ لا يتصور الجاحظ خطابا لغويا – مهما كان مستواه – لا يكون الفهم والإفهام قاعدته، وغاية هذه الوظائف جميعًا هي السامع، وهذا مظهر من مظاهر الجدوى.

لقد كان تصور الجاحظ الجمالي على هذا النحو، وبالتالي كان الجمال عنده ينبع من النافع، واستقى جانبًا من دستوره الأخلاقي؛ فالخير ليس في الكلمة الجميلة، بقدر ما هو في الكلمة الناجحة التي تعمل في النفس عمل الغيث في التراب، كما يقول صمود (صمود. ١٩٨١. ص ٣٠١).

هذا القول يؤكد لنا – بلا مراء – أن اللغويين العرب اهتموا بعملية التواصل، ورعوها كمال الرعاية، وتوقفوا على الوسائل المعينة على حدوثها، كما تنبهوا لكل ما قد يشينها ويعيقها، ففهموها فهما صحيحا، ومن أجل تحقيق مبدأ التواصل تحروا الدقة في صياغة القواعد، فتنبهوا إلى ما يحدث من لبس في تراكيب اللغة فيغيب المعنى أو يؤدي إلى تلاشيه أو قد يفقده الحياة لفقده البيان، فحذروا منه وهم يصوغون القواعد النحوية والصرفية، فجعلوا الجواز تقف عند عتبة الالتباس، احتياطا لقواعدهم لئلاَّ يصيبها ضرب من اللبس، فيتوارى المعنى وراء جموح الغموض، وكانوا يصدرون في ذلك عن نظرة واعية ترقُب سلامة القاعدة النحوية من الخلل، واستقامة المعنى ووضوحه، وعوَّلوا في وجوب القاعدة وجوازها على أمن اللبس، وألزموا البقاء على الأصل أو مخالفته من أجل النأي عن كتمان المعنى والإمعان في الغموض والإشكال، فأعطوا أداةً معنى أداةٍ أخرى، وخرجوا عن القياس الذي وضعوه؛ فراراً من اللبس وخدمة للمعنى، وقرروا أنَّ " التكلف في الغموض فعل تخريبي" (الخواجة.١٩٩١. ص ١٠)، وأنَّ " أحق أصناف التعقيد بالذم ما يتعبك ثم لا يجدي عليك" (الجرجاني. ١٩٩٩، ص ٨٤)؛ لأن الإبهام المغلق، واللغز العصي، والغموض المبالغ فيه يؤدي إلى حدوث فجوة بين المبدع والمتلقي، فالرسائل المبهمة والنصوص المستغلقة هي التي لا نحصل منها على فائدة حقيقية، وهي التي عناها الجرجاني (١٩٩٩، ص ٨٤) يؤرقك ولا يروق لك، وإذا طال العناء معها تكشفت عن غير طائل، وحصلت منه على ندم لتعبك في غير حاصل.

إن العلاقة بين الوضوح والفهم علاقة طردية (الظفيري. ٢٠٠٦، ص ٥٢)، فالإيضاح هو الوسيلة الأولى لبلوغ الإفهام، وهذا موقف منهم يشير إلى تبجيلهم للمعنى وسعيهم إلى تخليصه من الغموض واللبس وتنقيته من الإلغاز والتعمية، فنظروا إليه على أنَّه الغاية التي من أجلها وُضعت اللغات، والأساس الذي تُبنى عليه صيغ الكلام وتنتظم له عباراته؛ فخدمة للمعنى احترفوا الدقة في صوغ قواعدهم – عامة والنحوية خاصة – فاكتنفوها بكامل العناية وأحاطوها بوافر الرعاية، فقد "وصف اللغويون العرب القدماء الظواهر اللغوية، صوتيا، وصرفيا، ونحويا، ودلاليا في إطار زماني ومكاني محددين بصرامة، وعلى هذا الرصد وصفوا اللغة، واستنتجوا القواعد العامة لها، وقد مكنهم منهجهم الوصفي هذا من ملاحظة التركيب اللغوي، من حيث سلامته النحوية واستقامته الدلالية وبنوا على كل ذلك نظرية نحوية عامة اتصفت بالدقة والشمول، وحين صادفتهم ظواهر تركيبية تتجاوز المنهج الوصفي إلى التحليل والتفسير استعانوا بالمنهج التحليلي التفسيري، فحللوا وعللوا، وفسروا تلك الظواهر، فكان أن قدروا وحذفوا و أضافوا حرصا منهم على تقديم نظرية نحوية متكاملة" (تريكي. ٢٠٠٦. ص ١).

لهذا كان اللسان العربي المبين يتجنب اللبس، والأمثلة على هذا الأصل كثيرة، للتمثيل وجوب جر تمييز (كم) بـ(مِن) إن فصل بينها وبينه فعل متعد لم يستوف مفعوله؛ حتى لا يلتبس بمفعول ذلك الفعل، ومن هذا قوله سبحانه وتعالى: ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَاثًا وَرِئْيًا ﴾ (سورة مريم: ٧٤)، قال عباس حسن: "وإذا فُصل بين (كم) الخبرية وتمييزها بجملة فعلية فعلها متعد، لم يستوف مفعوله وجب جر التمييز بالحرف (من)؛ لمنع اللبس، إذ قد يقع في الوهم أن التمييز المنصوب ليس تمييزا، وإنما هو مفعول به للفعل المتعدي، فلإبعاد هذا الوهم يجب جر التمييز بـ(من)" (حسن. د. ت. ج ٤ ص ٥٧٥).

إن ترك الأصل والعدول عنه مرهون بأمن اللبس، فإذا ما تعارض هذان الأصلان فإن المتكلم لا يعدل عن مقتضى أحدهما لإثبات الآخر إلا لأسباب بلاغية تحقق إفادة الخطاب؛ لأنَّ من أهم أركان العملية التواصلية الإفادة، أي: الابتعاد عن الغموض، وقد اتخذ اللغويون أمن اللبس ركنا يأوون إليه لتعليل كثير من الظواهر الأسلوبية، والنحوية، فالزمخشري يعلل بأمن اللبس مجيء السمع مفردا بين القلوب والأبصار وكلاهما جمع في قوله جل شأنه:﴿ خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ ﴾ (سورة البقرة: ٧)، يقول: "ووحَّد السمع كما وحد البطن في قوله: كلوا في بعض بطنكم تعفوا، يفعلون ذلك إذا أمن اللبس، فإذا لم يؤمن كقولك: فرسهم وثوبهم رفضوه"(الزمخشري. ٢٠٠٦، ج ١ ص ٥٣).

عرف العرب هذا المبدأ؛ فجُعل من أهم مميزات اللغة العربية القدرة على البيان عن المقاصد، يقول: "اعلم أن اللغة في المتعارف هي عبارة المتكلم عن مقصوده، وتلك العبارة فعل لساني ناشئ عن القصد بإفادة الكلام فلا بدَّ أن تصير ملكة متقررة في العضو الفاعل لها وهو اللسان وهو في كل أمة بحسب

اصطلاحاتهم، وكانت الملكة الحاصلة للعرب من ذلك أحسن الملكات، وأوضحها إبانة عن المقاصد "(ابن خلدون. ٢٠٠٠. ص ٤٤٢).

ومن هذا المنطلق صاغ علماء العربية قواعد من مثل: (الأصل في الكلام أن يوضع للفائدة)، و(لا يجوز الابتداء بالنكرة لأنها لا تفيد)، و(الغرض بالتمييز رفع الإبهام)، و(الإعراب دخل الكلام في الأصل لمعنى)، و(العدول عن الأصل والقياس والنقل من غير دليل لا وجه له)، (ليس التسهيل المسوّغ ضرورة إذا كانت عندنا قاعدة واضحة لا لبس فيها).

إن التفاهم الذي قصدوه هو تحقيق التواصل، فكلام المرسل يحمل قصداً ومعنى وفائدة، يريد المتكلم إيصالها إلى المتلقي، فالكلام إذا لم يُفِد معنىً تاما مكتفيا بنفسه فلا يسمى كلاما، وقد أدرك أهل اللغة هذه الحقيقة إدراكا واعيا فجعل المبرد تحقق الإفادة شرطا لتماسك النص دلاليا (المبرد. د. ت. ج ٤ ص ١٢٦).

ورفض سيبويه بعض التراكيب كأن تبدأ كلامك بنكرة غير مسوغة؛ لِمَا في النكرة من لبس وإبهام، يقول: "ولا يبدأ بما يكون فيه اللبس، وهو النكرة، ألا ترى أنَّك لو قلت: (كان إنسانٌ حليما)، أو (كان رجلٌ منطلقا)، كنت تُلْبِسُ، لأنَّه لا يُستنكر في الدنيا إنسانٌ هكذا، فكرهوا أن يبدأوا بما فيه اللبس، ويجعلوا المعرفة خبرا لما يكون فيه هذا اللبس"(سيبويه. ١٩٩٩. ج ١ ص ٨٧).

اهتم علماء العربية بوظيفة اللغة الإفهامية، ورعوها رعاية خاصة، وبحروا الدقة في صاغة هذه القواعد، وعمدت اللغة إلى مواجهته بكل أشكاله، ومنعه في تراكيبها يقول تمام حسان:" إن اللغة العربية – وكل لغة أخرى في الوجود– تنظر إلى أمن اللبس باعتباره غاية لا يمكن التفريط فيها لأن اللغة الملبسة لا تصلح واسطة للإفهام والفهم وقد خلقت اللغات أساسا للإفهام وإن أعطاها النشاط الإنساني استعمالات أخرى فنية ونفسية "(حسان. ٢٠٠٦. ص ٥٨).

جاءت القواعد اللغوية لتحقيق أهداف عدة، منها هدفان مهمان:

الأول: رفع العجمة عن الألسن بالإعراب.

الآخر: رفع الغموض عن التراكيب بإبانة مواضع اللبس شكلا ومضمونا.

أراد النحويون تخليص الكلام من اللبس خدمة للمعنى وتسديداً له، وهذا يدلل على مدى اهتمامهم بالمعنى، والعناية به، وهو المقدم معهم، فالنظام اللغوي وجد للإفادة، وتلبية لمطالب المتخاطبين الحيوية في المجالات المختلفة، أي: لتبليغ أغراض المتكلم للمستمع، فاللغة آلة للتبليغ جوهرها تابع لما ولي من أمر الإفادة، ولا غرابة في هذا ما دام شرط الإفادة وعدم اللبس شرطا في كل عملية تواصلية شفاهية أو كتابية

المبحث الثاني: ركائز نجاح الحدث اللغوي

يمكن بالملاحظة والاستنتاج تقرير الركائز التي يقوم عليها نجاح الحدث اللغوي حيث يحقق وظيفته النفعية والإبلاغية بحصول الآتي: المواضعة، والقصد، والبيان الواضح، وعدم اللبس، ومستوى الاستعمال.

أولا: المواضعة.

تتحقق هذه الركيزة بأن يتسالم المرسِل والمتلقي على دلالة معينة للعلامة اللغوية، لأن "الاتفاق في الشفرة اللغوية شرط لنجاح التفاعل""(فرج. ٢٠٠٧. ص ١٤)، وقد أدرك اللغويون العرب بثاقب بصرهم، وبعد تأملهم ما أدركته التداولية – في العصر الحديث – من" أن اللغة ظاهرة اجتماعية، وأنها شديدة الارتباط بثقافة الشعب الذي يتكلمها، وأن هذه الثقافة في جملتها يمكن تحليلها بوساطة حصر أنواع المواقف الاجتماعية المختلفة التي يسمون كلا منها (مقاما)، فمقام الفخر غير مقام المدح، وهما يختلفان عن مقام الدعاء أو الاستعطاف أو التمني أو الهجاء وهلم جرا، وكان من رأي البلاغيين أن لكل مقام مقالا، لأن صورة المقال تختلف في نظر البلاغيين بحسب المقام"(حسان. ٢٠٠٦. ص ٣٣٧).

على هذا ينبغي على المتكلم أن يعرف أقدار المعاني فيوازن بينها وبين أوزان المستمعين، وأقدار الحالات فيجعل لكل طبقة كلاما، ولكل حال مقاما، حتى يقسم أقدار المستمعين على أقدار الحالات، يقول الجاحظ: " وكلام الناس في طبقات كما أن الناس أنفسهم في طبقات "(الجاحظ. ١٩٦٨. ج ١ ص 90) ، لأن تحقق المنفعة الخاطبية مع موافقة الحال، وما يجب لكل مقام من المقال؛ لأن" الحدث تفاعل فلا يخضع لرغبة المتكلم فقط، بل لخصوصية المستمع كذلك ووضعهما الاجتماعي والفكري"(فرج. ٢٠٠٧. ص ٤٨).

هذا ما يحث عليه السياق الثقافي، الذي يفرض على مستخدمي اللغة تحديد المحيط الثقافي أو الاجتماعي الذي يمكن أن تستخدم فيه الكلمة " فكلمة (looking glass) تعتبر في بريطانيا علامة على الطبقة الاجتماعية العليا بالنسبة لكلمة (mirror)، وكذلك كلمة (rich) بالنسبة لكلمة (wealthy)، وكلمة (عقيلته) تعد في العربية المعاصرة علامة على الطبقة الاجتماعية المتميزة بالنسبة لكلمة (زوجته) مثلا، وكلمة (جذر) لها معنى عند المزارع، ومعنى ثان عند اللغوي، ومعنى ثالث عند عالم الرياضيات " (عمر. ١٩٩٢. ص ٧١).

وقد أدرك الجاحظ أبعاد هذه النظرية، يقول: "لا ينبغي أن يكون اللفظ عاميا ساقطا سوقيا، فكذلك لا ينبغي أن يكون غريبا وحشيا إلا أن يكون المتكلم بدويا إعرابيا، فإنَّ الوحشي من الكلام يفهمه الوحشي من الناس كما يفهم السوقي رطانة السوقي"(الجاحظ. ١٩٦٨. ج ١ ص 90).

لذا اشترط الأسلوبيون على الكاتب حتى يستطيع توصيل ما يجول في فكره إلى المتلقي، بحيث يفهم الأخير ما يريده الكاتب، أن يعرف مع من يتكلم، وما هو مستواه الثقافي، والاجتماعي، والفكري، وحتى إلى

حد ما مستواه المالي، فعندما يخاطب الكاتب شخصا ذا سلطة تختلف ألفاظه، وكلماته، ومفرداته، بشكل مغاير تمامًا إذا كان يخاطب أحدا من أفراد الشعب، وكذلك عندما يخاطب العامل، يختلف عن المدير، أو صاحب الشركة، وينطبق ذلك على كل مستويات المجتمع. وهذا لا يعني أنه لا بد من أن يقوما بعقد جلسة بينهما للتوافق والاصطلاح، بل إن المرسِل قادر على إيصال الدلالة المطلوبة إلى متلقيه عن طريق وضع العنصر اللغوي في سياق يكشف عن حقيقته ومدلوله، فيسهل الفهم على المتلقي عن طريق قرينة السياق.

ثانيا: القصد.

يراد من هذه الركيزة أن يظهر من القرائن أن المتلقي قاصد فعلاً لاستعمال العنصر اللغوي الذي تكلم به أو كتبه، فإذا ما قال أحدهم مثلاً: (أجرى الطبيب للمريض عَلَمية) علمنا أن كلمة (علمية) في هذا السياق غير مقصودة، وأن المرسل أخطأ في التعبير، فاستعملها بدل (عملية)؛ لأن لفظة العملية هي التي تلائم العناصر اللغوية الأخرى الموجودة في الجملة، فقرائن السياق تدل على أنه ارتجل لفظة (علمية) لوضعها بدل (عملية)، لكن المعيار العرفي الخاص بطرفي الاتصال يجلب الاستعمال المعروف، ويستبعد الاستعمال غير المعروف، ولهذا يتبادر إلى الذهن أن المرسِل قد أرسل ما لم يقصده، وقصد ما لم يرسله.

ثالثا: البيان الواضح.

يعتمد على صحة النظم والتأليف، فالمرسل يتجه إلى الأنساق اللغوية التي يراها كفيلة بأداء الغرض من الحدث اللغوي، فإذا ما أراد أن يعبر عن جملة (ذهب الولدُ إلى المدرسة مبكرا) فإنه يستبعد الأنساق اللغوية المهملة أو الخطأ من قبيل: (إلى مبكرا ذهب المدرسة الولد)، أو (ذهب إلى الولد المدرسة مبكرا)، أو (إلى ذهب مبكرا المدرسة الولد)، أو (المدرسة ذهب الولد إلى مبكرا).

وفي المقابل يتجه إلى الأنساق اللغوية المستعملة أو الصالحة للاستعمال من قبيل: (الولد ذهب مبكرا إلى المدرسة)، أو (إلى المدرسة ذهب الولد مبكرا)، أو (الولد إلى المدرسة ذهب مبكرا)، أو (ذهب إلى المدرسة الولد مبكرا).

وقد جعل محمد الظفيري (٢٠٠٦، ص ٥١) الوضوح أحد أهم سمات الرسالة التي تكفل بالضرورة فعالية الاتصال مع الآخرين، فمن أجل أن تؤدي الرسالة الغرض المنشود منها فإنه يجب أن تتصف بخصائص عدة تجعل منها رسالة جيدة منها أن تكون واضحة؛ لذلك ينبغي أن يحرص المرسل على الوضوح في رسالته، وهذا يفرض عليه أن يتحاشى استخدام ما يصعب على المستقبل فهمه من ألفاظ غير مألوفة أو عبارات غير مترابطة، حيث يستعدي الوضوح اختيار الألفاظ المفهومة، والعبارات السهلة مع مراعاة ثقافة السامعين والتيسير عليهم، وتفصيل ما هو مبهم، ويساعد على ذلك البعد عن الألفاظ اللغوية العويصة التي لا يدركها السامع إلا بالرجوع إلى المعاجم اللغوية.

رابعا: عدم اللبس.

تأتي هذه الركيزة مكملة للركائز السابقة من حيث إن الحدث اللغوي قد يأتي محققاً للركائز السابقة ولكنه يكون ذا دلالة ملبسة أو غير مفهومة كجملة (تنام الأفكار الخضراء عديمة اللون بتهيج)، فالنظام النحوي لهذه الجملة مستقيم ولكن دلالتها غير مفهومة(ليونز. ١٩٨٧. ص ص ١١٣ – ١١٤)، وبتعبير آخر إن العلاقات النحوية بين عناصر تلك الجملة غير معطلة، ولكونها غير معطلة أنتجت دلالة غير مفهومة، لأنه لو عزل كل عنصر لوحده من دون تلك العلاقات النحوية لفهمنا المعاني المعجمية لتلك العناصر دون أي لبس.

وهذا النوع من التركيب هو ما اصطلح عليه سيبويه بأنه مستقيم قبيح، وحده – عنده – " أن تضع اللفظ في غير موضعه"(سيبويه. ١٩٩٩. ج ١ ص ٥٢)، فكان سيبويه يحرص على توافق الدلالة والنحو في التراكيب المختلفة، وباب الاستقامة من الكلام، والإحالة شاهد على هذا، فهو "يقدم لنا تصورا دقيقا حول الربط بين صحة التركيب دلاليا ونحويا في مصطلح دقيق مستقيم، وعدمه في مصطلح محال بوجه عام، وبين صحة التركيب دلاليا ونحويا في مصطلح مستقيم حسن، وعدمه في مصطلح محال كذب من جهة نوع المضمون أو الدلالة بنوعيها حقيقية ومجازية، وبين تركيب مقبول مستعمل يستخدمه أبناء اللغة يتحقق فيه شروط الصحة النحوية وتوافق العلاقات بين المفردات دلاليا في مستقيم حسن في مقابل مصطلح مستقيم قبيح، حيث يكون التركيب غير مقبول ولا يستعمل لخروجه على شروط الورود النحوي، فيكسر بذلك قاعدة مطردة في النظام النحوي للغة العربية" (بحيرى. د. ت. ص ١٦٠).

فالاستقامة اللغوية التي ينشدها سيبويه يتجاذبها قطبان: سلامة التركيب باكتمال عناصر التركيب، وسلامة الدلالة بتوافق العلاقة بين العناصر والمعاني، فاتحاد هذين العنصرين (النحو والدلالة) كفيل بتحقيق تواصل ناجح، لأن هناك العديد من الجمل لا يمكن الوقوف على صحتها وجعلها من الجمل المقبولة دون اتحاد هذين المكونين (النحو والدلالة).

خامسا: مستوى الاستعمال.

إن اللغة بصفتها نظاما ذا معنى يستلزم اثنين أو أكثر لإنجاز الحدث اللغوي، بل الأمر كذلك عندما يتكلم الإنسان مع نفسه، إذ هو يجرد من شخصه فردا مرسِلاً وآخر متلقياً(باي. ١٩٩٨. ص ٤٠، بتصرف)، وتتسع أطراف الحدث اللغوي أو تضيق تبعا لما يفرضه المتلقي على المرسِل من متطلبات الوضوح، فكلما كثرت أعداد المتلقين الذين يستعملون النظام الصوتي، والصرفي، والنحوي، والدلالي كان لهذا النظام قدرة على الانتشار والاتساع بين أفراد اللغة الواحدة، مما يجعل المرسل يتجه إليه دون غيره حينما يخاطب تلك المجموعة الكثيرة.

هذا ويمكن القول أن الحدث اللغوي إذا أنجز مراعيا الركائز السابقة استطاع أن يقوم بوظيفته الإفهامية وأدى غرضه، فيستطيع المتلقي أن يستخلص الخبر المرسل إليه من قبل الباحث، وأن الإفراط في الضبابية والتعقيد لا يخدم النصوص بقدر ما يسئ إليها، لذلك حصر العلماء أهمية السبك في "جعل الكلام مفيدا، ووضوح العلاقة في الجمل وعدم اللبس في أداء المقصود، وعدم الخلط بين عناصر الجملة، واستقرار النص وثباته؛ وذلك بعدم تشتيت الدلالة الواردة في النص"(الفقى. ٢٠٠٠. ج ١ ص ٧٤).

ركز علماء العربية على الوضوح والإبانة، فكانت وظيفة اللغة الإفهامية هي الوظيفة التي اعتنوا بها في خطابهم وتواصلهم، وكان الباحثون يصرحون أنّ من الواجب التماس الوسائل التي يحترز بها من الوقوع في براثن الخطأ، والتعقيد، والغموض، والالتباس، وكان الصواب في رأيهم نمطا خاصا محفوفا بالصعاب.

الخاتمة

وجد النظام اللغوي للإفادة، وتلبية لمطالب المتخاطبين الحيوية في المجالات المختلفة، أي: لتبليغ أغراض المتكلم للمستمع، فاللغة آلة للتبليغ جوهرها تابع لما ولي من أمر الإفادة، ولا غرابة في هذا ما دام شرط الإفادة وعدم اللبس شرطا في كل عملية تواصلية شفاهية أو كتابية، فالتواصل بمفهومه العريض يشتمل خارج مدى الحديث على الإنشاء وفهم النصوص المكتوبة والشفاهية، فالمتكلم حين يقصد إفهام المخاطب رسالته اللغوية فإنه يرتبها على منوال لا يدع معه للبس مجالا حتى يدرك مقاصده ذلك الإدراك الذي يتوخاه، فالتداولية جزء من القالب النحوي المندرج ضمن عناصر المقدرة الاتصالية؛ لأنه يبحث في جدوى الكلام والشروط الضرورية التي يتم بها التواصل بين المتخاطبين؛ ليقوم الكلام بالوظيفة التي وجد من أجلها.

أدرك اللغويون العرب في تتناول اللغة أنها التعامل اللغوي من حيث هو جزء من التعامل الاجتماعي، فينتقل المتكلم من مستوى اللغة اللغوي والنحوي والنفسي إلى المستوى الاجتماعي ودائرة التأثير والتأثر، من خلال استعماله اللغة لتحقيق التواصل، ولكي يحصل هذا الاتصال لا بد من وجود المرسل، أي: المتكلم أو الكاتب، المبلغ للرسالة والمتلقي، أي: السامع أو القارئ، المستقبل لها، فحضور هذين العنصرين هو ما يشكل اللغة بمعناها التواصلي.

يمكن بالملاحظة والاستنتاج تقرير الركائز التي يقوم عليها نجاح الحدث اللغوي حيث يحقق وظيفته النفعية والإبلاغية بحصول الآتي: المواضعة، والقصد، والبيان الواضح، وعدم اللبس، ومستوى الاستعمال.

the reviewer

1- Ibn Jinni, Abu Al-Fath Othman bin Jinni. (2001). Characteristics. Verified by Abdul Hamid Hindawi. 1st edition. Beirut, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah.

2- Ibn Khaldun, Abdul Rahman bin Muhammad. (2000). the introduction. 1st edition. Beirut, Dar Sader.

- Al-Jahiz, Abu Othman Amr bin Bahr. (1968). Statement and Clarification, edited by Fawzi Atwi. 1st edition. Beirut, Dar Saab.

3_ Al-Jurjani. Abu Bakr Abdul Qaher bin Abdul Rahman. (1999). Secrets of Rhetoric, edited by Saeed Muhammad al-Laham (1st edition), Beirut, Dar Al-Fikr Al-Arabi.

4_ Al-Khawaja, Duraid Yahya. (1991). Poetic ambiguity in the new Arabic poem. 1st edition. Homs, Dar Al-Dhakra.

5 _ Al-Zamakhshari, Abu Al-Qasim Mahmoud bin Omar. (2006) Al-Kashfah fi Facts, Mysteries of Revelation, and the Eyes of Sayings on the Faces of Interpretation, compiled and documented by Abu Abdullah Al-Dani bin Munir Al-Zahwi. 1st edition. Beirut: Dar Al-Kitab Al-Arabi.

6_ Al-Dhafiri, Muhammad Dahim. (2006). The art of linguistic communication and means of developing it. 1st edition. Kuwait, Al-Falah Library for Publishing and Distribution.

7- Al-Fiqi, Sobhi Ibrahim. (2000). Textual linguistics between theory and practice (an applied study on the Meccan surahs). 1st edition. Cairo: Dar Qubaa for Printing, Publishing and Distribution.

8_Al-Mubarrad, Abu Abbas Muhammad bin Yazid. (D. T.) Al-Muqtasib. Verified by Muhammad Abdel Khaleq Adima. D. i. The world of books.

9_Al-Waer, Mazen. (1988). Fundamental issues in modern linguistics. 1st edition. Damascus: Talas House for Studies, Translation and Publishing.

10_ Pai, Mario. (1998). Foundations of linguistics. Translation and commentary: Ahmed Mukhtar Omar. 8th edition. Cairo: World of Books.

11_ Beheiry, Saeed. (d.t.). Elements of grammatical theory. D. i. Cairo: Al-Mukhtar Foundation.

12_ Bunting, Karl Dieter. (2006). Introduction to linguistics, translated by Saeed Hassan Behairy. 2nd edition. Cairo: Al-Mukhtar Foundation.

13_Treki, Mubarak. (2006). The call between description and interpretation. Gondola Magazine. Humanities Journal, a peer-reviewed journal issued by an elite group of Iraqi and Arab academics and specialists residing in the diaspora. Fourth year. Issue thirtieth. September, 2006.

14_Hassan, perfect. (2006). The Arabic Language, Its Meaning and Structure, 5th edition. Cairo: World of Books.

15_Hassan, perfect. (2006). Language between standard and prescription. 4th edition. Cairo: World of Books.

16_ Hassan, Abbas. (D.T.). Adequate grammar. 5th edition. Cairo: Dar Al-Maaref.

17_ Sibawayh, Abu Bishr Amr bin Othman bin Qanbar. (1999). The book. Edited by Emile Yacoub. 1st edition. Beirut, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah.

18_ Samoud, Hammadi. (1981). Rhetorical thinking among the Arabs, its foundations and development until the sixth century AH. 1st edition. Tunisia: Tunisian University Publications.

19_ Abdul Latif, Muhammad Hamasa. (2006). Grammar and semantics (an introduction to the study of grammatical-semantic meaning). 2nd edition. Cairo: Dar Gharib.

20_ Omar, Ahmed Mukhtar. (1992). Semantics. 3rd edition. Cairo: World of Books.

21_ Faraj, Hossam Ahmed. (2007). Textual science theory is a systematic vision in constructing prose text. 1st edition. Cairo: Library of Arts.
22_ Lyons, John. (1987). Language, meaning and context. Translated by Abbas Sadiq. Reviewed by Yoel Aziz. 1st edition. Baghdad: House of General Cultural Affairs.
23_ Martini, Andrei. (D.T.). Principles of General Linguistics, translated by Saadi Al-Zubair. D. i. Algeria: Dar Al-Afaq.